أجرى المقابلة: بلال ضاهر*

الصحافي والمؤرخ الإسرائيلي د. توم سيغف:

الذاكرة الإسرائيلية تبدأ من العام ١٩١٧!

نريد أن نكون دولة يهودية وديمقراطية وهذا غير ممكن

إن الذاكرة الجماعية لشعب ما هي مسألة تستند إلى العديد من النواحي الحياتية والتاريخية والجغرافية والسياسية والدينية وما إلى ذلك. وتصبح مسألة الذاكرة الجماعية معقدة أكثر عند الحديث عن إسرائيل واليهود. ففي هذه الحالة تُطرح أسئلة غير مألوفة، مثل الفرق بين ذاكرة اليهود في إسرائيل وذاكرة اليهود المنتشرين في دول العالم، وكيف ينظر الإسرائيليون إلى ذاكرتهم الجماعية، وما إذا كانت هناك ذاكرة جماعية توحد اليهود في العالم أم أن هناك ذاكرات مختلفة تجمع اليهود مع سكان المكان الذي يعيشون فيه.

وقد أجرت « قضايا إسرائيلية » حوارا مع الصحافي والمؤرخ، الدكتور توم سيغف، الذي يكتب زاوية أسبوعية في صحيفة هآرتس، تحت عنوان «درس في التاريخ». ولسيغف عدة مؤلفات في تاريخ اليهود والإسرائيليين والصراع العربي – الإسرائيلي. وهو يعتبر مؤرخا «ما بعد صهيوني» ومن «المؤرخين الجدد»، الذين أعادوا البحث في الرواية الصهيونية للصراع. وقد أثارت العديد من كتبه سجالا بين المؤرخين في إسرائيل وتعرض لانتقادات من جانب المؤرخين الصهاينة التقليديين المتمسكين بالرواية الصهيونية للصراع.

ويطرح سيغف خلال المقابلة التالية روايته التاريخية فيما يتعلق بعدة قضايا بينها الذاكرة؛ التطورات التي أدت إلى قيام إسرائيل؛ التغيرات التي طرأت على الدور الذي لعبته المحرقة النازية في إسرائيل؛ حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧)؛ التغيرات التي طرأت على فكر الحركة الصهيونية، ليخلص إلى أن الإسرائيليين «يعملون ضد الأيديولوجيا التي وضعوها لضمان استمرار وجودهم».

*كاتب وصحافي، محرر في «المشهد الاسرائيلي»

(*) سؤال: ما هي النقطة الزمنية التي تبدأ منها الذاكرة الجماعية للإسرائيليين؟

سيغف: «كل ما جرى منذ العام ١٩١٧ هو جزء من الذاكرة الإسرائيلية. وأحد الأمور المثيرة هو أنه عندما تطلع على الصحف اليومية، في يوم قيام الدولة، مثلا، أي في ١٥ أيار العام ١٩٤٨، ترى أنها مليئة بالإعلانات وبالحديث عن ذكرى المحرقة وذكرى القتلى وأعمال بطولية، وهذا يعني أنه إذا اعتقد الناس أن الذاكرة تبدأ في يوم قيام الدولة فهذا انطباع خاطئ. أعتقد أن الذاكرة الإسرائيلية، في حال أنها تتركز على البلاد، وليس الذاكرة اليهودية التي تتحدث عن الخروج من مصر، تبدأ من العام ١٩١٧».

(*) سؤال: أي منذ «وعد بلفور»؟

سيغف: «نعم. ومن ثم بداية الانتداب البريطاني. رغم أن الذي عاش في فترة الانتداب البريطاني كانت لديه ذاكرة من العهد العثماني، وكانت لديه ذاكرة من [كيبوتس] دغانيا، وعمره أكثر من مائة عام. وعموما فإن من الصعب تحديد التاريخ بوقائع ثابتة، والمؤرخون يسمون ذلك «تحقيب» بمعني تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية. رغم ذلك فإني أعتقد أن الذاكرة الإسرائيلية تبدأ مع احتلال بريطانيا للبلاد في العام ١٩١٧».

(*) سؤال: وعندها بدأ اليهود بالتفكير في إقامة دولة؟

سيغف: «نعم، بكل تأكيد. لقد فكروا بالدولة قبل ذلك لكن الأفكار كانت ضبابية وغير واضحة، وكان التركيز على إقامة دولة خارج البلاد. لكن بعد صدور وعد بلفور، فإن هذه كانت المرة الأولى في تاريخ الصهيونية التي التزمت فيها قوة عظمى بمساعدة الشعب اليهودي على تحقيق الحلم الصهيوني. وقبل ذلك كانت هناك محاولات عدة، فقد حاولوا الحصول على دعم الأتراك والألمان والفرنسيين. لكن بريطانيا هي التي قررت تحقيق ذلك، ومنذ تلك اللحظة أصبح الوضع مختلفا بصورة جوهرية عما كان عليه من قبل».

(*) سؤال: هل توجد ذاكرة جماعية لليهود في أنحاء العالم، أو من تسمونهم بـ «يهود الشتات»؟

سيغف: «في حال كانوا متمسكين بهويتهم، أو أنهم يصرحون بهويتهم كيهود فالإجابة هي نعم، وبالتأكيد. يوجد ذاكرة ممزوجة بالدين بقدر كبير. لكن الديانة اليهودية هي أيضا ديانة تاريخية جدا، وعمليا هي مثل جميع الديانات. وإذا ذكرنا، قبل قليل، الخروج من مصر، فإن الشخص الذي يتماثل مع الشعب اليهودي والديانة اليهودية أو الهوية اليهودية، يتماثل مع الأحداث التاريخية مثلما ترويها الديانة والتاريخ، وفي هذه الحالة توجد ذاكرة جماعية، لكن هناك الكثير من الذاكرات الجماعية لليهود المرتبطة بالأماكن التي يقطنون فيها. إذن بالإمكان القول إن جميع اليهود يعون ظاهرة كثرة التنقل والشتات والاستهلاك الثقافي وصعوبات الحياة كأقلية داخل شعوب أخرى. وهذه ظواهر معروفة للجميع. لكن بالنسبة للتفاصيل فإن الذاكرة الجماعية ليهود إسبانيا، مثلا، مختلفة عن الذاكرة الجماعية ليهود إيطاليا أو بولندا أو اليمن».

(*) سؤال: هناك الكثيرون، بين الفلسطينيين والعرب وفي العالم كله عمليا، من الذين لا يوافقون على وجود شعب يهودي، أو على تعريف أتباع الديانة اليهودية بأنهم شعب. هل يوجد برأيك شعب يهودي؟

سيغف: «أولا، لا ينبغي الذهاب إلى الفلسطينيين من أجل ذلك، لأن هذا السؤال مطروح في النقاش الدائر بين الجمهور اليهودي، ومؤخرا في إسرائيل أيضا. وعندما صدر كتاب [الأكاديمي الإسرائيلي] شلومو زاند [بعنوان «متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟»] كان أكثر شيء لافت للنظر هو أنه بيع جيدا وأصبح رائجا، لكنه لم يثر أي نقاش حقيقي من الناحية العملية. فالكتاب لم يؤد إلى زعزعة أركان الإيمان الجماعي للإسرائيليين. لكن الجميع اهتم بالإطلاع على رأي زاند. وفي الواقع فإنه يوجد بين اليهود الآن، كما كان دائمًا، أشخاص اعترضوا على الحركة الصهيونية. وحقيقة هي أن معظم اليهود في العالم ليسوا صهيونيين. وقد تغير تعريف الصهيونية قليلا اليوم وأصبح هناك نوع من الشعور بالتضامن اليهودي العالمي. وعمليا فإن الصهيونية استسلمت للأغلبية اليهودية غير الصهيونية ووافقت على إعادة تعريف نفسها. فمثلا، عندما سافر [رئيس حكومة إسرائيل الأول، دافيد] بن غوريون إلى أميركا بعد قيام إسرائيل مباشرة، كان يريد القول لليهود هناك إن عليهم مغادرة أميركا والانتقال للسكن في دولة إسرائيل، وإن لم يفعلوا ذلك فإنهم لن يكونوا صهيونيين. لكن اليهود في أميركا ردوا عليه بأنه إذا كانت هذه هي الرسالة التي سيوجهها إليهم فإنه من الأفضل ألا يحضر إلى أميركا. وكانت نتيجة هذا النقاش وثيقة، ما زالت سارية المفعول حتى يومنا هذا، هي عبارة عن اتفاق توصل إليه بن غوريون وأحد

يوجد بين اليهود الآن، كما كان دائمًا، أشخاص اعترضوا على الحركة الصهيونية. وحقيقة هي أن معظم اليهود في العالم ليسوا صهيونيين. وقد تغير تعريف الصهيونية قليلا اليوم وأصبح هناك نوع من الشعور بالتضامن اليهودي العالمي. وعمليا فإن الصهيونية استسلمت للأغلبية اليهودية غير الصهيونية ووافقت على إعادة تعريف نفسها. فمثلا، عندما سافر - رئيس حكومة إسرائيل الأول، دافيد- بن غوريون إلى أميركا بعد قيام إسرائيل مباشرة، كان يريد القول لليهود هناك إن عليهم مغادرة أميركا والانتقال للسكن في دولة إسرائيل، وإن لم يفعلوا ذلك فإنهم لن يكونوا صهيونيين. لكن اليهود في أميركا ردوا عليه بأنه إذا كانت هذه هي الرسالة التي سيوجهها إليهم فإنه من الأفضل ألا يحضر إلى أميركا. وكانت نتيجة هذا النقاش وثيقة، ما زالت سارية المفعول حتى يومنا هذا

زعماء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة ويدعى بلاوشتاين، والتزمت حكومة إسرائيل فيها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليهود في الولايات المتحدة. وهذه وثيقة مهمة للغاية، لأنه بعدها بدأت الصهيونية تعيد تعريف نفسها. وهذا يعني أن الصهيوني هو ليس كل من يترك بلاده ويأتي للاستيطان هنا. وأعود الآن إلى سؤالك لأقول إن معظم اليهود لم يوافقوا على النظرية الصهيونية. ومعظم اليهود بقوا في بلادهم في حال تمكنوا من ذلك. كذلك فإن الكثيرين من الذين جاؤوا إلى إسرائيل لم يفعلوا ذلك لأنهم اكتشفوا فجأة النور الأيديولوجي الصهيوني، وإنما جاؤوا لأنه لم يكن هناك مكان يذهبون إليه. وهذا، بالمناسبة، ما كانت تقوله الحركة الصهيونية دائما، وهو أن اليهود جاؤوا إلى هنا ليس لأن العيش في دولة إسرائيل هو أمر جميل وإنما لأنه إذا لم نذهب إلى دولة خاصة بنا فإنهم سيقتلوننا. وقد قالوا هذا قبل المحرقة طبعا. ومن السهل جدا القول إن الصهيونيين تنبأوا بكارثة اليهود. لكن السؤال، إذا كان اليهود هم شعب أو دين أو طوائف، هو سؤال يناقشه اليهود أنفسهم. والموضوع ليس أننا كيهود نقول إننا شعب وأن الفلسطينيين يقولون إننا لسنا شعبا. وحتى اليوم دولة إسرائيل والشعب اليهودي كله لم ينجحا في تعريف من هو اليهودي. لدينا تعريفات كثيرة لهذا الأمر. وهناك قوانين كثيرة في دولة إسرائيل تبنت تعريفات مختلفة للسؤال من هو اليهودي. وصعب عليّ كثيرا أن أعرّف هذا الأمر. وهذا نقاش لا يوافق فيه العالم كله، ولا اليهود جميعا، على النظرية الصهيونية».

(*) سؤال: هل تنبأت القيادة الصهيونية بالمحرقة؟

سيغف: «ليس بالشكل الذي حدث. لم يتخيل أحد أفران الغاز ولم يتنبأ أحد بشيء مثل أوشفيتس [معسكر الإبادة النازي]. وقد قال [واضع فكرة دولة اليهود، ثيودور] هرتسل إن بإمكان اليهود إما الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها وبعد ذلك يغيبون، وإما أن يعيش اليهود كشعب، وفي هذه الحالة لا يوجد احتمال لذلك بين الأغيار، وإنما يجب أن تكون لهم دولة خاصة بهم وإلا فإنه لن يكون هناك وجود لهم. وبعد ذلك تصاعدت الاعتداءات على اليهود في روسيا. وبعدها صعد النازيون إلى الحكم في ألمانيا، وعندها كان هناك قادة يهود دعوا إلى الهجرة. وجابوتنسكي [زعيم التيار الصهيوني التنقيحي، زئيف جابوتنسكي] مثلا دعا إلى إخلاء جميع اليهود من أوروبا، بواسطة عملية كبيرة، ونقلهم إلى أرض إسرائيل، لأنهم سيواجهون الإبادة. وقد استخدموا كلمة 'إبادة' وكلمة 'محرقة'، لكنهم لم يتنبأوا بالتفاصيل التقنية لما جرى خلال المحرقة. ولم يتنبأوا بحجم الإبادة أيضا. لكن كان هناك شعور عارم بالخطر وأن الحل الصهيوني هو الأمر الصحيح. والأمر المثير جدا، برأيي، هو كمية اليهود التي لم توافق على الحل الصهيوني. وقد قال اليهود 'لا، هذا لن يحدث عندنا. وليس هناك ما يمكن أن أفعله في أرض إسرائيل. لا. أنا أريد أن أكون ألمانيا أو هولنديا أو فرنسيا أو انكليزيا، وأنا مخلص لدولتي، ولن يحدث لي شيء'. وهذا يعني أن الحل الصهيوني لم يرق لليهود رغم الخطر. إذ لم يكن سهلا أن يصبح المرء صهيونيا وبالتأكيد ليس بالمفهوم الفعلي، أي أن يحزم أمتعته ويهاجر إلى بلاد بعيدة».

(*) سؤال: هذا يعني أن الشعور بالانتماء لألمانيا والشعب الألماني لدى اليهود كان أقوى من الشعور بالانتماء إلى الحركة الصهيونية

نعم، معظم اليهود قبل المحرقة كانوا يشعرون بأنهم في موطنهم في العديد من البلدان. وعندما حدثت الأزمة الاقتصادية في بولندا في سنوات العشرين هاجر كل من تمكن من ذلك إلى الولايات المتحدة. لم يهاجروا إلى البلاد. وفقط عندما تم إغلاق أبواب الولايات المتحدة أمامهم، في العام ١٩٢٤، بدأوا بالقدوم إلى هنا. وذلك لأنه لم يكن بالإمكان البقاء في بولندا بسبب الوضع الاقتصادي المتدهور».

وفكرة دولة اليهود؟

سيغف: «هذا صحيح بالنسبة للكثير من اليهود. ولهذا كانت المأساة كبيرة جدا عندما صعد النازيون إلى الحكم وجرى البدء بملاحقة اليهود. فهم لم يستوعبوا ما الذي يحدث. سأعطيك مثالا. عائلتي جاءت من ألمانيا. وكان والدي طالبا جامعيا شابا وشيوعيا عندما صعد النازيون إلى الحكم. وقد تم اعتقاله كونه شيوعيا. عندها بعث جدي برسالة إلى قائد الغستابو في مدينته واحتج فيها على اعتقال والدي. وقال إن والدي لم يفعل شيئا ولم يخالف القانون. هذا يعني أن جدي لم يستوعب بتاتا ما الذي يحدث. كان يعتقد أنه لا يزال يعيش في مجتمع مدني وفي الوهم المدني الذي سبق صعود النازيين. وطبعا كان هناك كثيرون مثله. وكل هؤلاء الناس كانوا يعيشون في محيط أخلاقي لم يكن قادرا على تخيل هذا النوع من الشر. نعم، معظم اليهود قبل المحرقة كانوا يشعرون بأنهم في موطنهم في العديد من البلدان. وعندما حدثت الأزمة الاقتصادية في بولندا في سنوات العشرين هاجر كل من تمكن من ذلك إلى الولايات المتحدة. لم يهاجروا إلى البلاد. وفقط عندما تم إغلاق أبواب الولايات المتحدة أمامهم، في العام ١٩٢٤، بدأوا بالقدوم إلى هنا. وذلك لأنه لم يكن بالإمكان البقاء في بولندا بسبب الوضع الاقتصادي المتدهور».

(*) سؤال: ما هو دور المحرقة في إسرائيل حاليا، وهل تغير هذا الدور على مر السنين منذ قيام إسرائيل؟

سيغف: «نعم تغير كثيرا. ففي السنوات الأولى التي تلت المحرقة لم يتحدث أحد عن المحرقة، بل لم يجرؤوا على التحدث عنها. والناجون من المحرقة لم يرووا لأولادهم عما حدث لهم والأولاد لم يجرؤوا على السؤال. كان هناك نوع من الصمت الكبير الذي غلّف المحرقة لأسباب عديدة أهمها النفسية. الوضع كان أنك تعيش في بيت واحد مع شخص لديه رقم باللون الأزرق من أوشفيتس على ذراعه. ماذا ستقول إذا صادفت أحدهم في سلم البناية أو في الحافلة؟ وكيف بالإمكان ربط صداقة معه أو الزواج منه؟ وقد كان اللقاء بين المجتمع الإسرائيلي والناجين من المحرقة صعبا للغاية. وعمليا الجميع كانوا خجلين. الناجون من المحرقة خجلوا لأنهم كانوا ضعفاء وكانوا يشعرون بالذنب لأنهم بقوا على قيد الحياة، والمجتمع الإسرائيلي نظر إليهم باستعلاء وقال لهم 'أنتم صابون' [في إشارة إلى إذابة ضحايا النازية في أفران الغاز وتحويلهم إلى ما يشبه الصابون]، 'أنتم ضعفاء'، 'لو كنا مكانكم لقاومنا ودافعنا عن أنفسنا'، 'سمحتم للألمان بذبحكم' وغيرها من الأقوال الفظيعة والمروعة. وقد استمر ذلك حتى العام ١٩٦٠، عندما ألقت إسرائيل القبض في الأرجنتين على أدولف آيخمان، الذي كان مسؤولا مركزيا في جهاز الإبادة على المستوى التنفيذي. وهو لم يضع السياسة ولم يوجهها، لكنه كان ضابط العمليات الرئيسي للإبادة. وقد ألقوا القبض عليه وأحضروه إلى إسرائيل وبدأت محاكمته. وعندها، شيئا

فشيئا، انفتح المجتمع الإسرائيلي على المحرقة من خلال عملية مثيرة جدا استمرت سنوات. وأصبحت المحرقة عاملا مركزيا جدا وأحد مركبات الهوية الإسرائيلية. وأنا أضعها في المكان الثاني أو الثالث في سلم مركبات الهوية الوطنية الإسرائيلية. وهناك استطلاعات حول ذلك، بينها استطلاعات أجريت بين طلاب المدارس. ويشير أحدها إلى ردود طلاب الصف الحادي عشر على سؤال 'هل أنت ناجٍ من المحرقة؟'. وقد رد ثمانون بالمائة من الأولاد بـ'نعم، أنا ناجٍ من المحرقة'. لماذا هو ناجٍ من المحرقة؟! ما الذي حدث؟ فوالداه ولدا في إسرائيل وجده ولد في المغرب، فكيف تكون أنت ناجيا من المحرقة؟ والإجابة هي أن المحرقة تحولت فعلا إلى جزء من الهوية الإسرائيلية. وقد حدث هذا تدريجيا طوال سنوات، وأصبح الوضع اليوم بهذا الشكل. ولا يمر يوم من دون أن تجد المحرقة في إحدى الصحف. كل يوم. وبالطبع هناك رحلات طلاب المدارس إلى معسكرات الإبادة والزيارات إلى 'ياد فَشيم' [متحف تخليد المحرقة] والكتب والتفاصيل. وكل هذا هو جزء كبير جدا من هويتنا».

(*) سؤال: والمؤسسة الحاكمة في إسرائيل تستغل المحرقة، أليس كذلك؟

سيغف: «الجميع يستغلون المحرقة، كلٌ لأهدافه، وليس المؤسسة الحاكمة فقط. المستوطنون، الذين لا يكرهون أحدا أكثر من المؤسسة الحاكمة، يستغلون المحرقة، واليسار الإسرائيلي يستغل المحرقة واليمين أيضا. الجميع يستغل المحرقة، وأحيانا بصورة بشعة ومثيرة للغضب، لكن في نهاية المطاف هذا أمر طبيعي. فالجميع يستغلون المحرقة لدفع أفكارهم السياسية، وهذا أمر حسن لأن المحرقة هي مصدر لاستخلاص العبر. وكل طرف يستخلص عبره منها. والنشطاء اليساريون عندما يذهبون إلى الأراضي الفلسطينية، فإنهم يساوون بين ما يحدث هناك وممارسات النازيين. والمستوطنون يقولون إن الفلسطينيين هم النازيون والمحرقة تحتم عليهم استيطان أرض إسرائيل. وهناك أمور تتكرر. والحركة الصهيونية ترى في المحرقة مبررا مركزيا لإقامة دولة إسرائيل. وهذا مكتوب في وثيقة الاستقلال. لكن هناك أشخاص يعترضون على ذلك.

لقد بدأت بالتحدث معي عن الذاكرة وربما هذه هي النقطة لأقول لك رأيي بأن الذاكرة هي أمر سياسي للغاية. والذاكرة هي نتيجة قرار.. قرار سياسي. نتيجة ما يقرر مجتمع أن يتذكر وكيف يقرر أن يتذكر. ولذلك فإن ثمة توجهين فيما يتعلق بذاكرة المحرقة. توجد الذاكرة القومية التي تقول إن علينا أن نكون أقوياء وإن كل العالم ضدنا وإن ثمة احتمالا لعودة النازيين، وإنه ما زالوا يهددوننا وإن الأمر المركزي هو الحفاظ على أمن الدولة وتعزيز قوتها. وهناك التوجه الذي بالإمكان أن نسميه الأكثر إنسانية، ويرى أن المحرقة تلزمنا بحماية الديمقراطية وحقوق الإنسان ومنع العنصرية ووجوب تذكير كل جندي بأن القانون الإسرائيلي يلزمه بعدم تنفيذ أمر عسكري غير قانوني. وهذه عبرة مستخلصة من المحرقة.

ولذلك فإن الذاكرة هي موضوع مثير، حقا، لأنه ليس فقط في إسرائيل وإنما في جميع الدول، هي موضوع سياسي للغاية. وإذا أخذت العرب والمحرقة، أو الفلسطينيين والمحرقة، فإن هذا موضوع غير مريح بتاتا. لأنه لا يمكنهم الاعتراف بأن اليهود هم ضحايا. وكذلك بالنسبة للعرب بشكل عام. ولذلك فإنه لا يوجد احتمال لدراسة المحرقة. ولا توجد لديهم أفلام حول المحرقة. ولا توجد معلومات أيضا. والرأي السائد هو أن المحرقة هي عمليا اختراع صهيوني. وأنا أعتقد أن هذا أمر سيء، وأنا أقول ذلك لأصدقائي الفلسطينيين. لأنه لا يمكنك أن تفهم المجتمع الإسرائيلي من دون أن تفهم مكانة المحرقة في الهوية الإسرائيلية وفي السلوك الإسرائيلي. وإذا لم تفهم عدوك فإنك لن تتمكن من صنع السلام معه. وفي السنوات الأخيرة أدركت مجموعة من المثقفين الفلسطينيين، بينهم إدوارد سعيد ذلك، وأصدرت بيانا، ورفضت السفر إلى لبنان للمشاركة في مؤتمر ينفي حدوث المحرقة».

(*) سؤال: لننتقل من المحرقة إلى النكبة. كيف تنظر إلى قرار التقسيم من ناحية العدالة التاريخية. فالأمم المتحدة منحت نصف البلاد لمهاجرين لم تكن بحوزتهم الملكية سوى على ستة بالمائة من الأراضي في البلاد؟

سيغف: «أنت تطرح هذا السؤال على الشخص غير الصحيح، لأنني لا أنظر إلى التاريخ انطلاقا من الأخلاق أو العدل. فأنا أحاول أن افهم وأحلل. لكني لست الشخص الذي يقول لك إن هذا عادل أو غير عادل. ولذلك فإن أول شيء يبرز أمامي عندما أنظر إلى حدود التقسيم هو أن هذه كانت حدودا مستحيلة ولا يمكن تطبيقها أبدا. هذا هو الأمر المركزي برأيي. فقد جلس دبلوماسيون في أميركا [المقصود في مقر الأمم المتحدة في نيويورك] وأخذوا خريطة ورسموا عليها

والذاكرة هي نتيجة قرار.. قرار سياسي. نتيجة ما يقرر مجتمع أن يتذكر وكيف يقرر أن يتذكر. ولذلك فإن ثمة توجهين فيما يتعلق بذاكرة المحرقة. توجد الذاكرة القومية التي تقول إن علينا أن نكون أقوياء وإن كل العالم ضدنا وإن ثمة احتمالا لعودة النازيين، وإنه ما زالوا يهددوننا وإن الأمر المركزي هو الحفاظ على أمن الدولة وتعزيز قوتها. وهناك التوجه الذي بالإمكان أن نسميه الأكثر إنسانية، ويرى أن المحرقة تلزمنا بحماية الديمقراطية وحقوق الإنسان ومنع العنصرية ووجوب تذكير كل جندي بأن القانون الإسرائيلي يلزمه بعدم تنفيذ أمر عسكري غير قانوني. وهذه عبرة مستخلصة من المحرقة.

الحدود التي ليس لها أية علاقة مع الواقع في البلاد. والأمر الأساسي الذي أدى إلى الوضع الذي نعيش فيه اليوم هو، للأسف الشديد، الحروب وليس قرار الأمم المتحدة. وعندما تقول لي ستة بالمائة أو سبعة بالمائة فإن هذا يعيدنا إلى النقاش القديم. وسأقول لك إنه كان بإمكانكم أن توافقوا على هذه الحدود وأنت ستقول لي إنه 'لم يكن بإمكاننا أن نقبل بذلك'. وسأقول لك إننا كنا هنا من قبل، منذ سيدنا إبراهيم... وهذه أمور لا تجعلنا نتقدم نحو فهم التاريخ والذاكرة».

(*) سؤال: ألا تحاول تفهم الفلسطينيين؟

سيغف: «بلى. وعندما أحلل المواقف فإنه واضح لي تماما لماذا لم يكن في إمكان العرب الموافقة على التقسيم. وأنا لا أتبنى مضامين موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية الالكتروني وأقول إنه لو وافقتم على قرار التقسيم لكان كل شيء الآن مختلفا. لا، فهذا أمر لم يكن بإمكان الفلسطينيين قبوله لأنهم كانوا يعارضونه قبل عشرين عاما من طرحه ولم يوافقوا أبدا على التقسيم واعتبروه كارثة وطنية».

(*) سؤال: لماذا ساعدت بريطانيا اليهود، أو الحركة الصهيونية، على إقامة دولة في البلاد؟

سيغف: «لقد قدمت في البداية مساعدة كبيرة. وبداية يجب التأكيد أنها ساعدت فعلا. وعندما صدر كتابي [«أيام البرقوق»]. وكان سكان الييشوف يلقبون الضباط البريطانيين الانكليز بـ «البرقوق»] عن فترة الانتداب اعترض الكثيرون على تأكيدي أن بريطانيا ساعدت اليهود، لأن الرأي السائد بين المؤرخين هو أن بريطانيا كانت ضدنا. والحقيقة هي أن بريطانيا ساعدت الحركة الصهيونية. وتحت رعاية البريطانيين أحضرت الحركة الصهيونية مئات آلاف اليهود إلى أرض إسرائيل، وأقامت عشرات التجمعات السكانية، بينها عدة مدن، ووضعت الأسس السياسية والاقتصادية والعسكرية، وربما الأهم من ذلك الأسس الثقافية أيضا للدولة التي تم الإعلان عن قيامها في العام ١٩٤٨. وفي العام ١٩٤٨ كانت البنية التحتية موجودة وقد تم ذلك بقدر كبير بمساعدة البريطانيين. وأنا أعتقد أنه من دون مساعدة البريطانيين لما قامت دولة إسرائيل. والآن، لماذا فعلوا ذلك؟ إن هذا موضوع شائك جدا وتوجد عدة نظريات. وقد كتبت في كتابي 'أيام البرقوق' نظريتي وما زلت أتمسك بها طبعا، لكن هناك الكثيرون الذين لا يؤيدونها. والمعروف هو أنه كانت للبريطانيين اعتبارات إستراتيجية فيما يتعلق باحتلال أرض إسرائيل مثل الدفاع عن مصر وقناة السويس وعن الطريق إلى الهند، والمنافسة مع فرنسا. لكن عندما دققت وحققت وجدت أنه يوجد في الأرشيفات عدد هائل من الوثائق، وهي عبارة عن رسائل ومذكرات وبرقيات وتقارير وأوراق عمل. وقد كتب جميعها عسكريون وتم توجيهها إلى صناع القرار المدنيين في لندن، أي الحكومة، وقالوا لهم فيها لا تدخلوا إلى «أرض إسرائيل»، وإن «أرض» إسرائيل ستجلب علينا المصائب. لكن ما حدث كان غير ذلك وقد كانت

كان هناك الكثير من المعادين للسامية في بريطانيا، الذين قالوا إنه بإمكانهم التخلص من اليهود، وأن يغادروا ويذهبوا إلى أرض إسرائيل. والتقت بذلك أفكار متنوعة. والأمر المثير هو أن الاعتبار المركزي بالنسبة للبريطانيين كان الاعتبار المالي، بمعنى أن البريطانيين سيبقون على احتلال أرض إسرائيل ما دامت أرض إسرائيل تغطي نفقاتها وتمول نفسها وألا تستثمر بريطانيا أموالا فيها. لكن في كل مرة ارتفع فيها منسوب التوتر في البلاد نتيجة الصدامات العنيفة بين اليهود والعرب كانت تزيد الأعباء على بريطانيا. وبرأيي أنه في العام ١٩٣٩ ونتيجة للثورة الفلسطينية الكبرى، كان البريطانيون مستعدين للخروج من البلاد.

للحكومة البريطانية اعتبارات مختلفة عن الجيش وقررت احتلال البلاد. ورغم ذلك فإن السؤال الذي ما زال يطرح هو لماذا دعموا الجانب الضعيف؟ لماذا دعموا اليهود؟ فاليهود المساكين والمطاردين لا يمثلون أية قوة. لماذا لم يدعموا العرب؟ وقد استنتجت أنه، خلافا لما يحب مدرسو التاريخ قوله، فإن هذا كان قرارا غير عقلاني. والتاريخ يعلمنا أن لكل شيء يوجد سبب، لكن في هذه الحالة، باعتقادي، لم يكن هناك سبب عقلاني وإنما نبع الأمر بقدر كبير من نظرة صناع القرار البريطانيين في تلك الفترة إلى اليهود بشكل عام».

(*) سؤال: ألم تكن هناك مصلحة بريطانية في زرع كيان غريب في قلب العالم العربي؟

سيغف: «بلى. كانت هناك مصلحة كهذه أيضا. وقد كان أحد التفسيرات المركزية للحركة الصهيونية لإقناع الدول العظمى وبينها ألمانيا وفرنسا، وبالأساس بريطانيا، بضرورة قيام دولة يهودية، هو أننا سنكون موقعا أوروبيا في الشرق. وهكذا كان إدراك الصهاينة لأنفسهم- أنهم جزء من الحضارة الغربية وأن دولة إسرائيل ستكون ذات ثقافة أوروبية. لكن عندما تصل إلى تعامل قادة الحكومة البريطانية الغريب مع اليهود. فمن جهة، يخافونهم وينسبون إليهم نفوذا هائلا، وهذا عمليا هو توجه معاد للسامية، لأنهم يقولون إن اليهود يسيطرون على العالم، ويحركون عجلات التاريخ، ويقولون للرئيس الأميركي ما الذي عليه فعله، ويسيطرون على البنوك وعلى وسائل الإعلام. ومن الجهة الثانية، كان بين قادة الحكومة البريطانية تقدير كبير للديانة اليهودية والتاريخ اليهودي والتوراة. وقالوا إن إعادة شعب التوراة إلى أرض التوراة هو أمر عظيم، يحقق العدالة التاريخية.

إضافة إلى ذلك، وبالمناسبة ذاتها، كان هناك الكثير من المعادين للسامية في بريطانيا، الذين قالوا إنه بإمكانهم التخلص من اليهود، وأن يغادروا ويذهبوا إلى أرض إسرائيل. والتقت بذلك أفكار متنوعة. والأمر المثير هو أن الاعتبار المركزي بالنسبة للبريطانيين كان الاعتبار المالي، بمعنى أن البريطانيين سيبقون على احتلال أرض إسرائيل ما دامت أرض إسرائيل تغطي نفقاتها وتمول نفسها وألا تستثمر بريطانيا أموالا فيها. لكن في كل مرة ارتفع فيها منسوب التوتر في البلاد نتيجة الصدامات العنيفة بين اليهود والعرب كانت تزيد الأعباء على بريطانيا. وبرأيي أنه في العام ١٩٣٩ ونتيجة للثورة الفلسطينية الكبرى، كان البريطانيون مستعدين للخروج من البلاد. لكن في ذلك العام اندلعت الحرب [العالمية الثانية] في أوروبا، ولم يعد الوقت مناسبا لاتخاذ قرارات كهذه وتأجل كل شيء إلى ما بعد الحرب. وفعلا بعد انتهاء الحرب استنفد الاستعمار نفسه. وقد انسحبت بريطانيا من الهند، 'درة التاج'، فما الذي تبقى لهم في أرض إسرائيل. وفي هذه الأثناء وقعت المحرقة وكان هناك مائة ألف لاجئ يهودي في أوروبا لا يعرف أحد ماذا يفعل بهم. وقد

والآن نحن في وضع يكاد يكون مستحيلا فيه إعادة القدس الشرقية. والفرق الكبير بين الحركة الصهيونية قبل ١٩٦٧ وبين الحركة الصهيونية بعد ٦٧' هو أنه قبل ٦٧' كانت مسألة الأغلبية اليهودية أهم من الأرض. فقد كانت الحركة الصهيونية تتحدث عن أغلبية يهودية في قسم من أرض إسرائيل، وأن المهم هو أن تكون لدينا أغلبية وأن نقيم الدولة في السهل الساحلي وليس في الضفة. لكن الأمور تغيرت بعد ٦٧'. وهذا الأمر أدركوه خلال الحرب، أي أنهم بدأوا يتساءلون في اليوم الثالث أو الرابع للحرب عن مصير الأغلبية اليهودية والمشكلة الديمغرافية».

دفع هذا أيضا باتجاه اتخاذ قرار بنقلهم إلى أرض إسرائيل. ولا أحد سألهم عن رأيهم في ما إذا كانوا يريدون العيش في أميركا أو في أرض إسرائيل. لكن خيروهم بين العودة إلى الدول المعادية للسامية والمدمرة التي جاؤوا منها، مثل هنغاريا وبولندا وألمانيا، وبين الذهاب إلى أرض إسرائيل. وقال تسعون بالمائة منهم: إلى أرض إسرائيل. وانضمت كل هذه الأحداث إلى القرار بتأييد إقامة دولة لليهود في أرض إسرائيل».

«دولة إسرائيل كانت ستقوم حتى لو لم تقع المحرقة»

(*) سؤال: هناك مقولة مفادها أن المحرقة أدت إلى قيام إسرائيل، بمعنى أن الفلسطينيين دفعوا ثمن جرائم أوروبا.

سيغف: «برأيي هذا ادعاء ليس صحيحا بتاتا. صحيح أن المحرقة أعطت دفعة أخيرة، لكن كما قلت سابقا فإن دولة إسرائيل قامت نتيجة جهود الحركة الصهيونية على مدار ثلاثين عاما. وقد كانت البنية التحتية قوية وصلبة في سنوات الأربعين لقيام الدولة. ولهذا فإني أعتقد أن دولة إسرائيل كانت ستقوم حتى لو لم تقع المحرقة».

(*) سؤال: الييشوف اليهودي في فلسطين كان الأساس الذي قامت عليه إسرائيل. وقد تمت إقامة الييشوف بين الفلسطينيين. والمشروع الاستيطاني الشبيه بمشروع الييشوف أقيم بين الفلسطينيين أيضا، في الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧. فهل تسعى إسرائيل من وراء مشروعها الاستيطاني في الضفة الغربية إلى توسيع حدود الدولة، وربما حتى وراء الجدار العازل؟

سيغف: «أولا صحيح أن هناك شبها بين الييشوف الذي سبق قيام الدولة والمشروع الاستيطاني الذي بدأ بعد حرب العام ١٩٦٧. لكن توجد اختلافات أيضا. الاستيطان الذي سبق قيام الدولة كانت غايته إقامة الدولة. وبعد إقامة الدولة بالإمكان القول إن هذا يكفينا. وبالإمكان القول أيضا إنه حتى تمت إقامة الدولة كانوا يعملون بشعور من عدم وجود خيار. لكن بعد قيام الدولة وبعد أن احتللنا الأراضي الفلسطينية كان لدينا الخيار بأن نعيدها. وبالمناسبة كان لدينا الخيار أيضا بعدم احتلالها أصلا. وهذه لم تكن حاجة ماسة، خصوصا فيما يتعلق بالضفة. إذ أنه فيما يتعلق بحرب الأيام الستة، نحن نتحدث عن ثلاث حروب، واحدة مع مصر وأخرى مع الأردن وثالثة مع سورية. وأنا أعتقد أنه لم يكن بالإمكان منع الحرب مع مصر. وبناء عليه لم يكن بالإمكان منع احتلال سيناء وغزة. والسبب الأساس هو أن الإسرائيليين عملوا من خلال الخوف، الخوف من تكرار المحرقة. وقد كان هذا خوفا حقيقيا. الخوف من أن مصر ستبيدنا، مثل النازيين. لكن دخول الضفة كان بعد الانتصار على مصر. فإذن لا يمكن القول إنه تم احتلال الضفة أيضا نتيجة للخوف من الإبادة. ولم يتم احتلال الضفة، وبشكل خاص القدس الشرقية،

بسبب إستراتيجيا توسعية، وإنما نتيجة قرار اتخذ من القلب وليس من العقل.

وبإمكانك الاطلاع على محاضر الحكومة المتعلقة باتخاذ قرار احتلال القدس الشرقية. والأمر الأكثر إثارة في هذا الموضوع هو ما هو ليس موجودا في هذه المحاضر. لم يطرح أي وزير سؤالا حول مصلحتنا في احتلال القدس الشرقية. وها هي إسرائيل احتلت المكان المقدس لكل العالم الإسلامي ولكل العالم المسيحي. ولا توجد ولو حتى ورقة عمل واحدة تفسر الأهمية القانونية لاحتلال القدس. لقد كان الاحتلال بسبب التاريخ والدين وليس العقل. وعمليا، فإنه في اللحظة التي احتللنا فيها القدس الشرقية قررنا أنه لن يكون هناك سلام، لأنه لا يمكننا إعادتها. وبن غوريون، ولم يكن يشغل منصبا رسميا وقتئذ، كتب في مذكراته أن شخصا ما جاء إليه في اليوم الأول للحرب وابلغه بأن [وزير الدفاع الإسرائيلي في حينه] موشيه ديّان لا يريد احتلال حائط المبكى. لماذا؟ لأنه لا يريد أن يكون هو الذي يعيده إلى العرب. وهذا لم يكن صحيحا بالطبع. وخسارة أنهم لم يفكروا مسبقا بمعنى هذا الاحتلال. والآن نحن في وضع يكاد يكون مستحيلا فيه إعادة القدس الشرقية. والفرق الكبير بين الحركة الصهيونية قبل ١٩٦٧ وبين الحركة الصهيونية بعد ٦٧' هو أنه قبل ٦٧' كانت مسألة الأغلبية اليهودية أهم من الأرض. فقد كانت الحركة الصهيونية تتحدث عن أغلبية يهودية في قسم من أرض إسرائيل، وأن المهم هو أن تكون لدينا أغلبية وأن نقيم الدولة في السهل الساحلي وليس في الضفة. لكن الأمور تغيرت بعد ٦٧'. وهذا الأمر أدركوه خلال الحرب، أي أنهم بدأوا يتساءلون في اليوم الثالث أو الرابع للحرب عن مصير الأغلبية اليهودية والمشكلة الديمغرافية».

(*) سؤال: ولم يتوصلوا إلى الحل حتى اليوم.

سيغف: «صحيح. وكلما مرت السنين تفاقمت المشكلة الديمغرافية، التي تعني تهديد الأساس الأيديولوجي الذي استندت إليه دولة إسرائيل. وبعد ذلك تبنت إسرائيل تعريف أننا نريد أن نكون دولة يهودية وديمقراطية، وهذا غير ممكن. وكل مستوطن يدخل إلى الضفة يجعل هذا صعبا أكثر. لكن هذا لا يجعل الصهيونية تتقدم وتتطور. وهذا يؤدي طبعا إلى أنه لن تكون أغلبية يهودية هنا، ولا ديمقراطية أيضا. أي أننا نعمل ضد أيديولوجيتنا الوجودية. لماذا نفعل ذلك؟ لا يوجد سبب عقلاني. والآن حتى بيبي [رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو] يقول إن هذا سيء. وحكومات إسرائيل، في السنوات الأخيرة، توافق مبدئيا على تقسيم البلاد لأننا نريد أغلبية يهودية، والصراع هو على الحدود. وأنا أقول لك بصورة تحليلية إننا شعب يعمل ضد مصلحته القومية، التي حددها بنفسه».

(*) سؤال: في مقالك الأسبوعي المنشور بتاريخ ٤ كانون الأول ٢٠٠٩، أجريت مقارنة بين حركة الكيبوتسات [أي القرى التعاونية] والمشروع الاستيطاني. ما هو وجه الشبه؟

سيغف: «أعتقد أنه لأمر مثير جدا أن المستوطنين يتساءلون حول مصير المستوطنات. وهذا ليس موضوعا أطرحه أنا وإنما هم الذين يتداولون فيه على صفحات صحيفة «نيكودا»، التي تعتبر صحيفة المثقفين بين صحف المستوطنين. وهم يتساءلون فيما إذا كان سيحصل لهم مثلما حصل للكيبوتسات. أي أنهم لا يفكرون فيما إذا كان العرب سيقضون على مشروعهم، وإنما ما إذا كان سيأتي يوم لا تكون فيه حاجة إلى المستوطنات، مثلما جاء يوم وقرر فيه المجتمع الإسرائيلي أنه لا توجد حاجة إلى الكيبوتسات أو أن الكيبوتسات قررت بنفسها ألا تستمر على حالها».

(*) سؤال: وهل قلق المستوطنين من احتمال انتهاء المشروع الاستيطاني هو قلق حقيقي؟

سيغف: «نعم، أعتقد أنه حقيقي. ونحن لم نفكر أبدا بإمكانية انتهاء حركة الكيبوتسات. وهناك أمور تتغير في التاريخ. لكن لا يمكنني التنبؤ فيما إذا كان هذا سيحدث أم لا».